المجلة التونسية للدراسات الفلسفية عدد 54- 55 / السنة 2014/2015 : 103-115

تحولات الفضاء العمومي في الفلسفة السياسية المعاصرة: من هابرماس الى نانسي فرايزر

نورالدين علوش*

مقدّمة:

كثر الحديث عن الفضاء العمومي في خضم التحولات السياسية التي تعرفها بلدان العالم العربي. نظرا لدوره الكبير في ترسيخ قيم الديمقراطية والتعددية والحرية. بالرغم من انه يعكس تجربة تاريخية أوربية أساسا، في أبعادها الفلسفية والسياسية والاقتصادية التي تتعلق بممارسة ديمقراطية سياسية. فان المصطلح يحتاج إلى توسيع المجال الحضاري لتشغيل المفهوم أخدا بعين الاعتبار التحولات الكونية التي خضع لها المفهوم من جهة [1] كما يحتاج إلى استيعاب التطلعات الوطنية للتحقق الثقافي والسياسي من جهة ثانية.

بالإضافة إلى أن هناك تفاوت حاصل بين التصورات الكلاسيكية التي تحكم بنية الفضاءات العمومية(هابرماس ،حنا ارنت..) والتي هيمنت على الساحة الفكرية والفلسفية منذ القرن العشرين إلى بداية الألفية الثالثة؛ وبين التصورات الجديدة تضفي على الفضاء العمومي معنى جديد : نانسي فرايزر التي، الان تورين، سوزان جورج، نعوم تشومسكي..

ويحمل الفضاء العمومي على دلالة جدلية مركبة، في معناه الإجمالي يصف اصطلاح الفضاء العمومي ذلك» الفضاء الاجتماعي الذي يعرف تبادلات عقلانية ونقدية بين الذوات (الفردية والجماعية) التي تسعى إلى بلوغ حالة التوافق حول

---

*باحث من المغرب

1- عز الدين عزماني الربيع الديمقراطي العربي وإمكانية العمومية النقدية
http://mominoun.com/english/en-us/articles

القضايا التي تتصل بالممارسة الديمقراطية»[2]

في كتابه «الحق والديمقراطية» قدم هابرماس تعريفا جديدا للفضاء العمومي، يراجع فيه تعريفاته القديمة حيث يقول : «اذا كان الفضاء العمومي ظاهرة اجتماعية على نفس مستوى من الأساسية التي للفعل الفاعل المجموعة اوالجماعة، فانه لا يمكن تصوره كمؤسسة أو كتنظيم، كما انه ليس بنية معيارية متمايزة الاختصاصات والأدوار ؛ انه ليس مبنيا كنسق وهو يقبل بعض الحدود الداخلية ولكنه يتميز إزاء الخارج بافاق مفتوحة متحركة ونفوذة. من الممكن وصف الفضاء العمومي بشكل أفضل كشبكة تمكن من نقل المضامين والمواقف المتخذة من ثم الآراء»[3] ذلك ان الفضاء العمومي لا يخلق إراديا قبل أن يتم شغله من قبل فاعلين استراتيجيين يتعين على الفضاء العمومي والعموم الذي يشكل قاعدته أن يتأسس كبنية ذات استقلالية وان يعاد إنتاجها بوسائلها الذاتية[4] وتمثل أهمية هذه النسخة المنقحة لتعريف الفضاء العمومي في كونها تفتح المجال أمام مراجعة المفهوم بشكل أكثر تعددية، وبحدود متغيرة أي بشكل يتجاوز التمييز الكلاسيكي بين العام والخاص.

والجدير بالإشارة إلى أن الفيلسوف كانط هو المنظر الحقيقي للفضاء العمومي في مقاله التأسيسي ما التنوير؟ بحيث دافع بقوة عن الجرأة في استعمال العقل، تلك الجرأة التي تفترض الشجاعة والاستقلالية والمسؤولية والإرادة. ولكن أي استعمال ممكن للعقل؟ يميز كانط بين الاستعمال الخاص للعقل والاستعمال العمومي للعقل وهو التمييز الذي ساهم بشكل كبير في نحت ما سماه هابرماس الفضاء العمومي ذلك الفضاء الذي يتداخل فيه الفعل السياسي من جهة لتاطير الممارسة السياسية بواسطة الدعاية لتوجيه الرأي العام ومن جهة العمومية.وهنا تصير العمومية معيارا لكل تفكير يحكم أي فعل إنساني في الزمان والمكان وكل قضية من قضايا الشأن العام: الحق والسلطة، العدالة، الشرعية..ومن جهة أخرى الفعل التواصلي وما يفرضه من أخلاقيات للمناقشة وتداول من اجل الإجماع.

1- الفضاء العمومي عند هابرماس

يندرج اهتمام هابرماس بمقولة الفضاء العمومي في إطار اهتماماته المبكرة بالفلسفة السياسية. وقد ساهمت عدة عوامل في هذا الاهتمام مها ما هو شخصي

2- ن م/ http://mominoun.com/english/en-us/articles

3- HABERMAS J: ***DROIT ET DEMOCRATIE*** tr. Bouchindhomme et rochlitz gallimard 1997 P 387

4- ***Ibid*** p 392

ومنها ما هو ظرفي متعلق بالمناخ السياسي لألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية [5] ويعد بحثه الميداني الطالب والسياسة» من الكتابات الأكاديمية الأولى لهابرماس المنشغلة بالفضاء العمومي السياسي.

وفي كتابه «الفضاء العمومي اركيولوجيا الدعاية باعتبارها مكون أساسي للمجتمع البرجوازي» الذي هو في الاصل رسالة تأهيل. قدم هابرماس دراسة سوسيو تاريخية لتحولات بنية الفضاء العمومي البرجوازي منذ بدايته إلى يومنا هذا. ويدافع هابرماس في كتابه عن فكرة اعتبار الفضاء العمومي مقولة فلسفية تبلوت في القرنين السابع عشر والثامن عشر، كما يصف لنا التفكك الذي لحق بهذا المفهوم في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين [6]يحلل هابرماس على امتداد 300 صفحة الفضاء العمومي وتحولاته معتمدا على منهجية اركيولوجية لإبراز دلالة المفهوم منذ اليونان من خلال تناوله لمفاهيم مثل الاغورا ولينتقل فيما بعد إلى كيفية تشكل هذه الفضاء العمومي في العصر الحديث ووظائفه السياسية وكيفية الانتقال من الفضاء العمومي الأدبي إلى الفضاء العمومي السياسي. ودور الطبقة البرجوازية في انبثاق الفضاء العمومي.

ونظرا للدور الكبير الذي لعبته الطبقة البرجوازية، فلابد من الحديث عن التحولات التي أحدثتها على مجموعة من المفاهيم: مفهومي العام والخاص : كما تجسد خلال عقود مع العصور الوسطى لم تعد تحدث تطبيقاتها الفعلية إلا مع ظهور الدولة الحديثة التي يقابلها المجتمع المدني.[7] ومفهومي الساحة والمدينة : حيث أصبحت هذه الأخيرة معقلا تجاريا واقتصاديا لنشاطات البرجوازية وهو أمر في تنافي مع الساحة على المستوى السياسي والثقافي[8]. ومفهومي التمثيل والوظيفة : بحيث سيختفي مفهوم التمثيل ليحل محله مفهوم الوظيفة. فوظيفة الأجهزة الدولتية حولت «السلطة الإقطاعية» إلى الشرطة وخواص الأشخاص الخاضعين لها يتشكلون من جمهور حيث انهم تمارس عليهم هذه السلطة[9].

- مفهوم الدعاية باعتباره مكونا أساسيا للفضاء العمومي

يرجع الفضل في استقلالية وتقدم الفضاء العمومي البرجوازي حسب هابرماس إلى عمل مهم :

5- محمد الأشهب مذهب التواصل عند هابرماس رسالة دكتوراه كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس موسم 2007-2008 ص 360

6- Paulin jhonson: habermas rescuing the public sphere routlege london 2006 p 14

7- Habermas j: lespace public trad. De l allemand par marc b. de launnay payot 1988 p 16

8- Ibid p 40

9- Ibid p 29

ازدهار الصحافة. ومن رأي عام يتشكل خاصة من سكان المدن والبرجوازيين الذين كيفوا عاداتهم القرائية مع الجديد من المنشورات.هكذا حسب هابرماس ستتشكل أشكال جديدة من العلاقات الاجتماعية المؤسسة على النقاش واستعمال العقل.نقاش في الصالونات حيث يعلق الناس على الأخبار الوردة من الجرائد وكل فرد يعطي رأيه وتبريره.[10]

هذه الحركية على مستوى الإنتاج والنقد من قبل المثقفين قابلتها مساهمة القراء من موقعها كمتتبعة للنقاشات بحيث أن الناشرين لم يترددوا في إشراك المساهمة النقدية للمتلقي[11]. فمبدأ دعاية الإعلام هو في الحقيقة مبدأ مراقبة، حيث استغله الرأي العام البرجوازي للوقوف في وجه السلطة. فهذا المبدأ المنشئ لفضاء عمومي برجوازي بدا حقيقة في القرن الثامن العشر باعتباره فضاء سياسيا جديدا حيث وضع نفسه بين الدولة والأفراد.[12]

فالفضاء العمومي البرجوازي سيلعب دور الوسيط حسب هابرماس بين حاجات المجتمع والدولة. وهذا التوسط يفترض أن يعتمد بالتدريج على مفهوم الرأي العام. بمعنى أخر تمثيل موقف وشرعية لنقد عقلاني للسلطة السياسية.فهذا التوسط بين الدولة والمجتمع سيستمر تدريجيا إلى حدود القرنين الثامن عشر والتاسع عشر عن طريق نصوص دستورية محددة مثلا: بنيات الدولة الدستورية والانتخابات والصحافة وخاصة النقاشات البرلمانية المفتوحة على الإعلام. هكذا ستظهر السلطة السياسية وهي خاضعة لمحكمة الرأي العقلاني والشرعي[13].

– التحولات البنيوية للفضاء العمومي: نحو انحراف الوظائف النقدية له

يرجع هابرماس التحولات التي لحقت الفضاء العمومي إلى عاملين مهمين : الإصلاح الانتخابي في القرن التاسع عشر، وإدماج المقصيون في الفضاء العمومي. فهذه التغيرات أجهزت على دور خواص الأشخاص الذين يتشكلون كجمهور ويستخدمون عقولهم داخل سياق من الحرية والاستقلالية في إطار النقاش الذي تعتبر فيه الحجة داحضة لاكراهات السلطة والقوة ؛ إذن من خلال ها المنتدى النقدي تصبح السلطة خاضعة لإرادة الشعب المتنورة. ذلك أن الوعي السياسي يتطور في إطار الفضاء العمومي البرجوازي والذي يجد تعبيره داخل مؤسسات مثلا الصحافة والبرلمان.هذه الصورة كما تجسدت في القرن 18 حدث لها انحراف عند حصول

10- نورالدين علوش المدرسة النقدية الألمانية دار الفارابي 2013 ص 65

11- Ibid p 32

12- م س ص 66

13 - م س ص 66

الكتلة على حق التصويت فالجمعيات(النقابات الأحزاب السياسية أصبحوا يدافعون على مصالح زبنائهم تحت غطاء سياسي مباشر[14] مما أدى إلى إتلاف كل من دور المجتمع والدولة. وهذا التدخل الكبير للدولة في جميع مجالات الحياة أدى حسب هابرماس إلى ما يسميه «إعادة الفيودالية إلى الفضاء العمومي» . فالتدخل المتعدد لفضاءات عامة وخاصة بالاعتماد على تقنيات التسيير الإداري والتقني اضعف الوظائف النقدية للفضاء العمومي.فالرأي العام فقد دوره كذلك بسب خضوعه لمجموعة المصالح التي تستعمل تقنية الإشهار لمصلحتها الخاصة ولاستمرارية سلطتها.حيث تم تعويض الدعاية النقدية بدعاية الهتاف والتهويل.مما جعل الفضاء العمومي يتجه نحو فضاء التهليل والهتاف.حيث أصبحت السياسة مهرجانا وحل التسويق السياسي محل الخطابة. في عصر الدعاية المتلاعبة بالعقول ليس المحرك هو الرأي العام بل التوافق المصنوع الممهد للإجماع.[15]

وفي مجمل أطروحته حول الفضاء العمومي، ظل هابرماس اقرب إلى كانط منه إلى ماركس وهيغل. وهذا ما جعله بالفعل يبتعد عن الخط الماركسي لمدرسة فرانكفورت. بالإضافة إلى تغييبه للطبقة العاملة التي تعتبرمحرك التاريخ حسب الماركسية. في الحقيقة نجد تأثير كانط واضح على هابرماس وخاصة في مبدأ العمومية بوصفه مبدءا نقديا مما حدا بهابرمس القول بان الفضاء العمومي لم يتبلور إلا في القرن الثامن عشر. ولا غرابة أن نجده يعود إلى النص التأسيسي لكانط ما الأنوار؟ ليسترشد بعبارة الاستعمال العمومي للعقل ليتناول قضايا أخلاقية وسياسية التي تهم المواطنين. فهذا الأخير مطالب باستخدام عقله استخداما نقديا حتى يصبح مواطنا فاعلا.

- الفضاء العمومي والدين

نظرا لتزايد وثيرة العنف في العالم، كثر الحديث عن دور الدين في الفضاء العمومي وخاصة بعد الحدث المزلزل للعالم 11 سبتمبر في أمريكا. في هذا السياق أجرت الباحثة الأمريكية جيوفان بورادوري حوارا مطولا مشتركا مع فيلسوفنا هابرماس و جاك دريد حول أسباب ودواعي الإرهاب والعنف. حيث نجد فيلسوفنا هابرماس استند في إجابته على خلفية فلسفية سياسية لراولز وكانط ومكتسبات دولة الحق والقانون. وفي السياق ذاته نجد هابرماس يدخل في حوار مع باب الكنيسة السابق راتزنيغر حول دور الدين في الفضاء العمومي. وللإجابة عل هذا التحدي الذي يطرحه

14 - عزيز الهلالي عرض حول الفضاء العمومي عند هابرماس ماستر فلسفة التواصل تطوان موسم 2010 - 2011
15 -نورالدين علوش المدرسة النقدية الألمانية ص 68

دور الدين في عصرنا قام بنحت مصطلح «المجتمعات مابعد العلمانية».وعلى هذا الأساس اعتبر هابرماس بان الجماعات الدينية لا يمكن اعتبارها جماعات عقلانية إلا إذا امتنعت بطريقة اختيارية عن فرض حقائقها الإيمانية بالعنف وممارسة كل ضغط نضالي على الضمير الأخلاقي عند المؤمنين وعن الامتناع عن التلاعب بهم واستخدامهم في أعمال هجومية انتحارية. كما أن مبدأ الفصل بين الكنائس والدولة يوجب على مؤسسات الدولة التجرد أو النزاهة كاملة في تعاملها مع الجماعات الدينية.[16]

وفي مقال لهابرماس «حول الدين والعلمانية» دعا إلى الاعتراف المتبادل بين التيارين الديني والعلماني قصد تحقيق التفاهم والعيش المشترك،في إطار دولة دستورية علمانية .إذ يجب على الأطراف المعنية نفسها ان تتفق على الفواصل الهشة التي تحدد من جهة الحق الايجابي في ممارسة الشعائر الدينية ومن جهة ثانية الحرية السلبية التي يراعي كل واحد منا الأخر في ممارسته الدينية.[17]

في ضوء العودة القوية للدين في الفضاء العمومي والتحديات التي يطرحها العلم على تصوراتنا الدينية دعا كل من هابرماس وراتزينغر- بابا الكنسة السابق- إلى ضرورة التكامل بين العلم ولدين.

اذ يمكن للمجتمع العلماني والدين على حد سواء اذا ما فهما علمانية المجتمع بوصفها صيرورة تعلم متكامل أن يقدما مساهمتهما فيما يتعلق بالمواضيع التي يختلف فيها الناس في الحياة العامة، وكذلك لأسباب عقلية أن ياخد كل واحد منهما الأخر محل جد».[18]

2 - من الفضاء العمومي البرجوازي إلى مابعد الفضاء العمومي البرجوازي

في مقال للفيلسوفة الأمريكية الشهيرة نانسي فرايزر «إعادة التفكير في الفضاء العمومي» [19] حاولت التأسيس لنظرية نقدية جديدة، والتنظير لفضاء عمومي جديد يتجاوز الفضاء العمومي البرجوازي الذي نظر له هابرماس في كتابه المعروف

---

16 - كمال بومنير قراءات في الفكر النقدي دار نشر كنوز الحكمة الجزائر 2013 ص 156

17 - ن م ص 153

18- حميد لشهب العقل والدين في المجتمع الحديث اكدال الرباط 2005 ص 96

19- Nancy Fraser: Rethinking the Public Sphere: A Contribution to a Critique of Actually Existing Democracy. Dans: Craig Calhoun (Éd.), Habermas and the Public Sphere. Cambridge, Mass. – Londres, pp. 109-142.

http://

«الفضاء العمومي»[20]. ولا احد يشك في أهمية الفضاء العمومي للنظرية النقدية للمجتمع وللممارسة السياسية الديمقراطية.. لكن نانسي فراير تنتقد هابرماس اعتبارهالفضاء العمومي البرجوازي هو الفضاء العمومي الوحيد مغيبا باقي الفضاءات الأخرى.السبب الذي جعل هابرماس يعتمد على الفضاء العمومي البرجوازي:

1 – حضور المرجعية الكانطية في تناول هابرماس للفضاء العمومي وتزامن عصره مع انبثاق المجتمع البرجوازي.

2 – اعتبار هابرماس أن الديمقراطية تأسست مع البرجوازية في القرون الثامن عشر.

حيث تم التركيز على ديمقراطية النخبة، حيث كانت الكثير من الفئات الشعبية محرومة من المشاركة في الديمقراطية والعملية السياسية.

في سياق نقدها لهابرماس تذكرنا بالمبادئ الأساسية التي أطرت أطروحة هابرماس:

1 – الفضاء العمومي يتعارض مع المصالح الخاصة والنقاشات الخاصة
2 – الخير المشترك والمصلحة العامة هي الغاية
3 – يمثل الفضاء العمومي قوة مضادة للدولة
4 – الفضاء العمومي يعتمد على طوبى النقاش العقلاني المؤدي إلى الإجماع
5 –يسمح بتشكيل رأي عام مرتكز على الحجاج
6 – يضع اللامساواة الاجتماعية جانبا ليتم النقاش بين ذوات متساوية[21]

في الحقيقة نانسي فرايزر لا ترفض فكرة الفضاء العمومي البرجوازي جملة وتفصيلا، فهي تقبله من الناحية المعيارية ؛ لكن تسائله من جديد حول بعض القضايا:

1 – المساواة بين المشاركين في النقاش
2 – تقديم الوحدة على تعددية الجماهير
3 – إشكالية التعارض بين الفضاء العام والخاص
4 – الفصل الصارم بين المجتمع المدني والدولة

تختلف نانسي فرايزر مع هابرماس في الكثير من النقاط ابرزها:

20- habermas jurgen:l espace public paris payot 1992

21-http://p5.storage.canalblog.com/54/08/926132/81188826.pdf

أولا: نجد الفيلسوفة الأمريكية نانسي فرايزر في مقالها «إعادة التفكير في الفضاء العمومي» تقول «بان المشكل ليس فقط في ان هابرماس يؤمثل idealises الفضاء العمومي البرجوازي بل يفشل كذلك في معالجة الفضاءات العمومية الأخرى المنافسة : اللابرجوازية واللاليبرالية» [22] فالعلاقة بين هذه الفضاءات ليست علاقة تنافس بل علاقة صراع. وهذا الصراع ليس حدثا عرضيا يخص نهاية القرن الثامن عشر أو التاسع عشر بل كما يذهب إلى ذلك هابرماس بل مسالة بنيوية تمس سياقات ممتدة تاريخيا تعكس نزوعا ايدولوجيا ذكوريا يسعى إلى إقصاء المرأة من الفضاء العمومي [23] تتفق نانسي فرايز مع هابرماس في معيارية الفضاء العمومي، تطالب نانسي بالمساواة بين المشاركين في الفضاء العمومي وعدم إقصاء اي طرف: النساء والطبقة العاملة والعموم والسماح لهم بالتعبير عن هوياتهم ومطالبهم في مختلف الساحات .

ثانيا : لا تتفق نانسي فرايزر مع هابرماس في كون الجمهور وحيد – وان ساحة النقاش وحيدة– وان الجمهور موحد .بالاعتماد على أعمال ماري رايان [24] التي كشفت ان انبثاق الفضاء العمومي البرجوازي كان في الأصل متزامن مع فضاءات أخرى غيبها هابرماس : فلاحون، نساء النخبة، طبقة عاملة. فلابد من الاعتراف حسب فرايزر بتعدد الجماهير لدمقرطة الفضاء العمومي ورفع الحيف عن باقي الفضاءات المهمشة. وفي نفس السياق ترفض نانسي فرازير فكرة أن ساحة النقاش وحيدة، لكونها تغيب عن أذهاننا باقي ساحات النقاش الموجود ة آنذاك المعبرة عن طموحات وهويات الفئات الاجتماعية الأخرى. كذلك ترد فرايزر عل هابرماس بان الجمهور لم يكن موحدا، بل كان متعددا. لان الفضاء العمومي هو في جوهره حسب فرايز صراعي المهم فيه ليس الوصول إلى الإجماع بقدر ما يهم التسويات. وهننا تتفق الباحث مع المفكر الانجليزي جيف ايلي»بكون الفضاء العمومي هوا طار منظم حيث يتم فيه إنتاج الاحتجاج أو التفاوض الثقافي والاديولوجي للجماهير المتعددة» [25]

ثالثا : في كتابه **الفضاء العمومي** يستنكر هابرماس تصاعد النزعة الحميمية وتزايد الأسئلة الخاصة في المجال العام التي تعود إلى وسائل الإعلام. حيث نجد نانسي تدافع بشدة عن ضرورة إدماج الأسئلة الخاصة إلى الفضاء العمومي حتى

22- Frayzer:rethinking the public sphere in habermas and the public sphere mit p 115

23- Ibid p 116

24- Mary rayan:women in public baltimore jhon hopkins university press1990

25- http://p5.storage.canalblog.com/54/08/926132/81188826.pdf

تستفيد الأقليات منه وخصوصا النساء لطرح مطالبهن. لكن الفضاء العمومي البرجوازي غيب مطالب النساء بدعوى التعارض بين الدائرة الخاصة والدائرة العامة ووان النساء ضمن الدائرة الخاصة وهذا ما أكدته الأبحاث التاريخية حول اليونان القديمة والمجتمعات البرجوازية في القرن الثامن عشر.

رابعا : تقول نانسي فرايزر بان المجتمع المدني يمكن أن يأخذ شكلين الأول: المجتمع المدني زائد السوق. والشكل الثاني المجتمع المدني باعتباره فضاء عمومي زائد الجمعيات. في الشكل الأول تلاحظ نانسي فرايزر أن المشاركة في النقاش لن تتم بدون مساواة أصلية بين المشاركين. الفصل الصارم بين المجتمع المدني والدولة في المجتمع النيوليبرالي لن يخدم سوى الطبقات البرجوازية ويحرم باقي الفئات من المشاركة الكاملة.

أما الشكل الثاني : نجد هابرماس يدافع بقوة عن الفصل بين المجتمع المدني والدولة حتى لا يتماهيا وتفقد سلطة المراقبة التي يتكلف بها الفضاء العمومي. هنا تقترح نانسي فرازي انه إذا كان المجتمع المدني والدولة يندرجان في إطار فصل خالص ؛ فان الفضاء العمومي لن يصل إلى تصور أشكال التسيير الذاتي والتنسيق بين الجماهير وتحمل المسؤولية السياسية حيث هي المهام الأساسية للمجتمع الديمقراطي الحقيقي.

فإذا كانت النظرية النقدية المعاصرة للفضاء العمومي تحتاج إلى التفكير في إطار المساواة بين جميع المواطنين. فان الفضاء العمومي البرجوازي لن يفي بالغرض.

للخروج من هذه النواقص تطرح نانسي فرايزر مجموعة من الاقتراحات:

1 – تشجيع المساواة عوض تجاهل اللامساواة الاجتماعية

2 – السماح لمختلف الجماهير بالتعبير عن اختلافاتها ومطالبها عن طريق مختلف فضاءات النقاش، لكن أيضا عن طريق فضاء عمومي كوني

3 – فتح مجال النقاش للقضايا الخاصة (مجال خاص)

4 – إعادة التفكير في الفضاء العمومي باعتباره حاملا لمسؤوليات سياسية.

3 – من الفضاء العمومي الوطني إلى الفضاء العمومي العابر للأوطان

كثر الحديث في الأوساط الأكاديمية عن فضاءات عمومية مشتتة : فضاءات عمومية جهوية، فضاءات عمومية محلية وكذلك فضاء عمومي عابر للأوطان في طور التأسيس. من الصعب الحديث عنه لأنه غير واضح المعالم، لكنه مهم لإعادة بناء النظرية الديمقراطية لمجتمعات مابعد الدولة الأمة. في سياق نقدها لهابرماس تذكرنا نانسي بالإطار السياسي التاريخي للفضاء العمومي مع ظهور الدولة الأمة

مع اتفاقية وستفاليا [26] لكن مع التحولات التي لحقت بالدولة الأمة ورياح العولمة التي هبت على العالم وظهور إشكاليات التعدد الثقافي هنا تطرح نانسي فرايزر التساؤل التالي : هل الفضاء العمومي الهابرماسي المرتبط بسياق الدولة الأمة قادر على مسايرة هذه التحولات باعتباره أداة نقدية للحاضر؟ أم لابد من إعادة تأسيسه في فضاء عمومي عابر للأوطان؟[27]

في الحالة الأخيرة، المهمة لا تقتضي تأسيس مفهومي للفضاء العمومي عابر للأوطان وإنما يجب إعادة النظر في النظرية النقدية بطريقة تجعله يساير التحولات بإمكانياته التحررية لمجتمعات مابعد الدولة الأمة.

وفي سياق نقدها لهابرماس تذكرنا بالافتراضات النظرية في ما يخص تأسيس الفضاء العمومي .

1 – جهاز دولة وطني يمارس سلطته على إقليم
2 – اقتصاد وطني مرتبط بالإقليم مؤسس بطريقة شرعية
3 – مواطنة قومية مستندة على قاعدة الدولة – الأمة
4 – لغة قومية
5 – أدب قومي
6 – بنية تحتية إعلامية : إعلام راديو، صحافة

تعترض نانسي فرايزر على هابرماس في هذه النقاط التي اشرنا إليها سابقا

أولا: طرأت الكثير من التحولات على مفهوم السيادة الوطنية، فأصبحت الآن تتقاسمها مع الدولة الكثير من الهيئات والمنظمات الدولية (الأمم المتحدة) والجهوية (الاتحاد الأوروبي) سواء سياسيا أو اقتصاديا (البنك الدولي النقد الدولي) أو ثقافيا أو عسكريا (حلف الشمال الأطلسي والمعاهدات العسكرية...) أصبحت السيادة اليوم مرتبطة بمستويات متعددة بدءا بالوطني مرورا بالجهوي وأخيرا الدولي.

26– صلح وستفاليا (Peace of Westphalia) هو اسم عام يطلق على معاهدتي السلام اللتين دارت المفاوضات بشأنهما في مدينتي أسنابروك (Osnabrück) ومونستر (Münster) في وستفاليا وتم التوقيع عليهما في15 مايو 1648 و24 أكتوبر 1648 وكتبتا باللغة الفرنسية. وقد أنهت هذه المعاهدات حرب الأعوام الثلاثين في الإمبراطورية الرومانية المقدسة (معظم الأراضي في ألمانيا اليوم) وحرب الأعوام الثمانين بين إسبانيا وجمهورية الأراضي الواطئة السبع المتحدة. ووقعها مندوبون عن إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسةفرديناند الثالث (هابسبورغ)، ممالك فرنسا، إسبانياوالسويد، والجمهورية الهولندية والإمارات البروتستانتية التابعة للإمبراطورية الرومانية المقدسة.

يعتبر صلح وستفاليا أول اتفاق دبلوماسي في العصور الحديثة وقد أرسى نظاما جديدا في أوروبا الوسطى مبنيا على مبدإ سيادة الدول. مقررات هذا الصلح أصبحت جزأ من القوانين الدستورية للإمبراطورية الرومانية المقدسة. وغالبا ما تعتبر اتفاقية البرينيه الموقعة سنة 1659 بين فرنسا وإسبانيا جزءا من الاتفاق العام على صلح وستفاليا.

27- www.republicart.net/disc/publicum/fraser01_fr.htm

ثانيا : لم يعد الاقتصاد الوطني المرتبط بالدولة – الأمة هو السائد بل نجد الشركات المتعددة الجنسيات هي صاحبة السلطة المطلقة وهي المهيمنة على السوق. بل بتنا اليوم نتحدث عن أسواق مالية عالمية وأي سوق مالي ليس بمنأى عن التقلبات الأسواق الأخرى في ظل هذه الأوضاع لا يمكن الحديث عن مراقبة الدولة للاقتصاد .

ثالثا : مع تزايد أعداد الهجرة برزت إلى السطح إشكالية التعدد الثقافي وحقوق الأقليات الدينية أو العرقية. الشيء الذي جعلنا نتحدث عن المواطنة الدستورية وليس المواطنة القائمة على القومية او الوطنية فشتان بين مواطنة الدولة الأمة ومواطنة مابعد الدولة– الأمة..

رابعا : في السابق كانت الدولة –الأمة تعتمد عل مقوم اللغة القومية، لكن اليوم أصبحنا نتحدث عن تعدد اللغات بالنظر إلى التعدد الثقافي والديني والعرقي. فالكثير من البلدان ثنائية اللغة أو ثلاثية اللغة .

خامسا : كانت الدولة الأمة تعتمد على أدبها القومي لترسيخ هويتها وتماسكها، لكن اليوم نتحدث عن أدب عالمي وهجانة ثقافية بين المحلي والعالمي ولم يعد اليوم الأدب يقتصر في موضوعاته عل ماهو محلي بل يطرح قضايا ومواضيع عالمية ..

سادسا : مع تطور وسائل الإعلام أصبح العالم قرية كونية. حيث أصبحت وسائل الإعلام خارج سيطرة الدولة وبتنا أمام إمبراطوريات إعلامية كبيرة مثل إمبراطورية مردوخ تتحكم في المشهد الإعلامي العالمي.

أمام هذه التحولات الكبيرة السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية التي عرفها العالم تطرح نانسي فرايزر مجموعة من التساؤلات : فهل الفضاء العمومي قادر على القيام بمهامه السياسية الديمقراطية؟ وهل من الممكن أن يفضي الفضاء العمومي إلى رأي عام قوي مبني على حجاج عقلاني متوخيا المصلحة العامة؟ وهل من الممكن ان يؤثر الفضاء العمومي في السلطات؟ وما هي التحولات السياسية والاقتصادية والثقافية التي لابد من القيام بها ليقوم الفضاء العمومي بدوره الحقيقي؟[28]

للجواب على هذه الأسئلة تطرح نانسي فرايزر فكرتين لتجاوز التناقضين الرئيسين :

التناقض الأول : هو عدم التوافق بين الدولة –الأمة من جهة والمؤسسات الدولية من جهة أخرى. لتجاوز هذا المشكل لابد من مأسسة السلط الدولية الجديدة وإخضاعها لمراقبة كونية.

28- www.republicart.net/disc/publicum/fraser01_fr.htm

التناقض الثاني : عدم التطابق بين المواطنة الدولة –الأمة ومواطنة تجمعات مابعد الدولة – الأمة. لتجاوز هذا المشكل يجب إضفاء الطابع المؤسسي على المواطنة العالمية ومن ثم التأسيس لفضاءات كونية تسمح بإنتاج تضامنات على أساس واسع الأفق يتجاوز الدين والقومية والعرق..

ولا يمكن لهذه الفضاءات العمومية الكونية أن تؤثر إلا إذا كانت تتمتع بسلطة سيادية ممأسسة. وفي غياب هذا التحول الكبير المؤسسي لا يمكن لهذه الحركات الاجتماعية الكونية ولا الفضاءات العمومية الكونية أن تنهض بدورها التحرري والسياسي.

خاتمة:

بالرغم من التحولات التي لحقت بمفهوم الفضاء العمومي. فلا يزال يحظى بأهمية كبيرة في الدراسات الفلسفة السياسية وخاصة بعد الربيع العربي الديمقراطي .لدوره الكبير في ترسيخ قيم الديمقراطية والحرية والتعددية. فهل فضائنا العربي قادر على ترسيخ هذه القيم؟ وهل من الممكن تجاوز الطابع المحلي لفضائنا العمومي ليصبح فضاءا عموميا عابرا للأوطان ؟

المراجع بالعربية

- محمد وقيع الله احمد، **مدخل إلى الفلسفة السياسية**، دار الفكر، دمشق، 2011
- نورالدين علوش، **المدرسة النقدية الألمانية**، دار الفارابي، 2013
- حميد لشهب، **العقل والدين في المجتمع الحديث**، اكدال الرباط، 2005
- محمد الأشهب، **مذهب التواصل عند هابرماس**، رسالة دكتوراه كلية الآداب والعلوم الإنسانية فاس موسم 2007-2008
- كمال بومنير، **قراءات في الفكر النقدي**، دار نشر كنوز الحكمة، الجزائر 2012

المواقع الالكترونية

عز الدين عزماني الربيع الديمقراطي العربي وإمكانية العمومية النقدية

- http://mominoun.com/english/en-us/articles
- http://p5.storage.canalblog.com/5481188826/926132/08/.pdf
- www.republicart.net/disc/publicum/fraser01_fr.htm

المراجع بالفرنسية

- Habermas j : droit et democratie tr. Bouchindhomme et rochlitz gallimard 1997
- Habermas j: l espace public trad. De l allemand par marc b .de launnay payot 1988

المراجع بالانجليزية:

- Frayzer: rethinking the public sphere in habermas and the publis sphere mit press1992
- Paulin jhonson: habermas rescuing the public sphere routlege london 2006
- Mary rayan:women in public baltimore jhon hopkins university press1990